بولس سلامة

المهرجان الذي اقيم له

اقوال ادباء العرب في شعره

مختارات من شعره

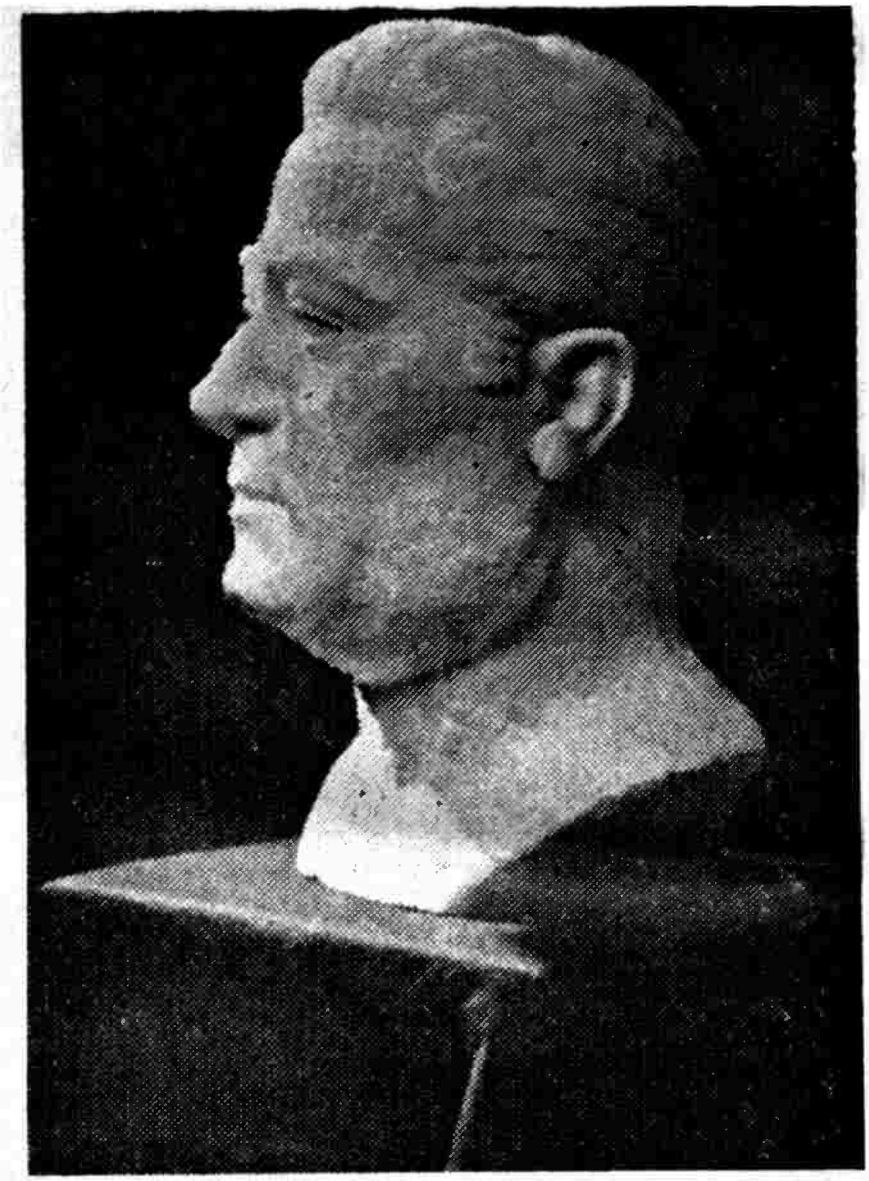

تمثال الشاعر

بولس سلامه

من صنع الفنان حليم الحاج

المقدمة

ولد بولس سلامه سنة ١٩٠٢ في قرية (بتدين القش) قضاء جزين (لبنان الجنوبي). وكان أبوه يوسف على جانب عظيم من الذكاء الفطري وقوة الذاكرة، على انه أمي. وقد بلغ من الوجاهة مكاناً مرموقاً واشتهر بقوته البدنية التي توازي قوة اكبر المصارعين العالميين. وكان جبار الهيكل، طويل القامة، عريض الألواح، قلما تجد في الرجال أروع منه جثة. وكان يحب ان يسمع من الصبي بولس — التلميذ الصغير في مدرسة القرية — تلاوة قصة الزير وعنترة بن شداد وما شاكلها.

ولاريب ان هذه المطالعات في الصغر، وما كان عليه الوالد الأسد من النخوة العالية والكرم العربي وحب التغني بالبطولات، أثرت في شاعر الغد تأثيراً عميقاً حبّب اليه تمجيد الفروسية والبطولات والمكرمات العربية، فلازمته هذه الظاهرة في شعره وعلى الأخص في ملحمته (عيد الغدير). اما والدته (لطيفه) فكانت مثال التقوى والأم الفاضلة، وقد اقعدها المرض في بيتها مدة ثلاثين سنة، فصبرت كما صبر ابنها (ايوب القرن العشرين).

وبعد مدرسة القرية الصغيرة، دخل بولس مدرسة الاخوة المربيين في صيدا سنة ١٩١٣، فلم تكتمل السنة المدرسية حتى وقعت الحرب العالمية الأولى فانقطع التلميذ عن الدرس حتى سنة ١٩١٨، ثم دخل مدرسة الحكمة ثم مدرسة الفرير في صيدا وجونيه، فكان مجموع سني الدراسة في هذه الحقبة ثلاث سنوات دخل بعدها مدرسة الحقوق الفرنسية في بيروت ونال شهادة (الليسانس). ومما يجدر بالذكر ان مجموع سني دراسته، بما فيها الثلاث سنوات في مدرسة الحقوق، لم تتجاوز الثانية اعوام، وهذا يدلك على تفوق التلميذ النجيب. وقد تدرج في المحاماة زهاء سنتين في مكتب المحامي المرحوم نجيب بك خلف المعروف بتضلعه من اللغة العربية،

زاد المتدرج ولوعاً بهذه اللغة التي أحبها منذ الصغر .

وانخرط شاعرنا في سلك القضاء مدة خمس عشرة سنة تنقل اثناءها في سائر الأنحاء اللبنانية ، فكان مثال القاضي النزيه الذي تصغر عليه الوظيفة مهما تكن فيضفي عليها من شخصيته الفذة ما يجلها بالوقار والكرامة .

سعة الاطلاع

ليس بولس سلامه شاعراً فحسب ، بل عالم واسع الاطلاع يطل على آفاق عديدة من آفاق المعرفة ، فتراه يحدثك عن المسيحية والاسلام واليهودية والبوذية ، فتحسبه اختصاصياً في كل منها . ثم ينتقلك الى صعيد الفلسفة والأدب والتأريخ ولا يفوته ان يحدثك عن الصيد ونوادر القرويين وعاداتهم وتقاليدهم . وقد زاد على معارفه هذه كثيراً من المعلومات الطبية التي عرفها اثناء مرضه الطويل ، اي مدة ثلاث عشرة سنة حتى اليوم .

مرضه وآلامه

ان هذه الحقبة من حياة الشاعر تقتضي مجلداً ضخماً ، ولكننا نوجزها في سطور : فلقد أصيب الرجل بناسور في العمود الفقري منذ سنة ١٩٣٦ اقتضاه تسع عشرة عملية جراحية زار فيها اكبر مستشفيات بيروت ، وانفق مبالغ ينوء بها الاغنياء فكيف بالاديب وقد اضطر الى بيع معظم أملاكه . وقد تمرّ على فراش الالم منذ سنة ١٩٤٢ لا يستطيع حراكاً ، وتحمل من الآلام ما لم ترو مثله الاساطير ولكن الرجل ارحب من البحر يواجه المصائب بابتسامة عريضة . وأشد آلامه المعنوية تنكر اصدقائه له في محنته . وقد يختلف الناس في بعض نواحي الرجل ولكن هناك ناحية واحدة لا خلاف فيها وهي : ان بولس سلامه كان ولم يزل امير وفاء وكرم ، مفتوح البيت رحيب الصدر .

الاديب

لامشاحة بأن بولس سلامه في الرعيل الاول من ادباء العرب ينثر النثر البليغ المحكم .

وقد تأثر بالقرآن الكريم ونهج البلاغـــة والجاحظ وابن المقفع وعلى الاخص نهج البلاغة ، فان الرجل مشغوف بالامام علي وقد وضح ذلك في خاتمة « عيد الغدير » حيث يقول :

أنا من يعشق البطولة والالهـــام والعدل والخـــلاق الرضيا
جلجل الحق في المسيحي حتى عدّ من فرط حبه علويا

ولا يزال الادباء يذكرون من نثره العالي مقالتـه (بين ايوب وبيني) فضلاً عن مئات المقالات التي لم تحفظ . ولا غرو أن بولس كثير الاهمال ولعله يطلع على الناس بمجموعة احاديثه في الاذاعة اللبنانية في كتاب يدعوه (حديث العشية)

الشاعر

نظم الشعر في حداثته ، ولكنه يتبرأ من كل قصيدة سبقت سنة ١٩٣٠ ، وترى في هذه المجموعة بعض قصائده ، وليست بأفضلها ، فأكثرها قيل في مناسبات ولكن بولس يظل صليب الجناح حتى في شعر المناسبات . وأنت ترى ، في هذه القصائد المنظومة بين سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٤٩ ، تطوراً في الشاعر الذي سكت مدة تسع سنوات ، وتلمس الألم النابض في قصائده التي نظمت بعد المرض . وقـد نظم بين سنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٤٨ أروع مطولاتـه التي طبعت في كراريس على حدة ، وهي (علي والحسين) و (فلسطين وأخواتها) و (الامير بشير) . اما آيتـــه فهي ملحمـة (عيد الغدير) أول ملحمة عربيـــة وهي تنطوي على ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت من الشعر الرفيع وتتناول أهم نواحي التأريخ الاسلامي .

ومما يجدر بالذكر ان الشاعر نظم هذه الملحمة وكثيراً غيرها من الشعر الخالد ، وهو على ماعلمت من سوء الحالة الصحية : تارة تشويه الحمى وطوراً يمزقه الالم وحيناً تعترضه الصعوبات المادية وتكاليف العيش .

وليس هذا كل ما نظم بولس . فقـد سبق له ان جمع شعره الوجداني الذي نظمه بين سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٣٦ وفيه عشرات القصائد النابضة بالحياة والعافيـة

يوم كان العيش رغداً ، ولكن هذه الدفاتر ، التي كان في النية طبعها في ديوان على حدة، فقدت مع بعض امتعة بيته سنة ١٩٤٠ بينما كان في المستشفى يواجه الموت في عملية خطيرة ، ولم يكن قد نشر من قصائده هذه شيئاً في الصحف ليستعيدها سوى قصيدته « الجنة السمراء » التي ننشرها في هذه المجموعة . ويظهر أنه لم يأسف كثيراً لضياع هذه القصائد بعد ان تمرد على الألم هذا التمرد حتى لا يرى فرقاً بين الموت والحياة . ذلك ان اكثر شعره الضائع ينطوي على الغزل ، وقد أصبح يرى في الغزل شكوى الضعيف ويرى ان الشرق أحوج ما يكون الى الرجولة . واذا استطعت ان تقرأ ما وراء السطور في مطولاته وعلى الاخص في (عيد الغدير) التي ضمنها آراءه في الحرية والثورة والعدل الاجتماعي وبعض آرائه الفلسفية ، عرفت هذه الشخصية وقوة هذا (الرهين المحبسين) ، ورددت فيه قول نسيبه الشاعر الكبير سعيد عقل :

يا مغمداً يحمي العلى من ذا تكون اذا تسل

ولا نطيل عليك القول فسترى في هذه المجموعة ما يخولك تكوين فكرة كافية عن بولس سلامه الكبير بأدبه وأخلاقه وألمه .

محمود سنبلة